

الحرب على الحرب

فكتور ديفيس هانسون

مؤرخ وباحث في معهد هوفر



مجلة تاون هول الأمريكية

15 مايو 2008



The War Over the War

by Victor Davis Hanson

The Townhall Magazine

ترجمة: علي الحارس

بلغت الحرب في العراق عامها السادس، ودخلنا نحن الشعب الأمريكي، عامنا السادس من قراءة الروايات المتنازعة حول تلك الحرب. وأحدث هذه الروايات ما جاء في كتاب الجنرال ريكاردو سانتشيز (أكثر حكمة في المعركة: قصة جندي). وفي هذا الكتاب يقوم سانتشيز، وهو ضابط ميداني كبير كان قائدا لقوات تحالف في العراق في الفترة (يونيو 2003 - يونيو 2004)، بتوجيه اللوم إلى بول بريمر، الحاكم المدني للعراق في الفترة (2003-2004)، بالإضافة إلى وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد ويحملهما المسؤولية عن الأخطاء والحوادث التي حصلت بعد دخول القوات الأمريكية إلى العراق.

الحرب على الحرب

ويسير الكتاب المذكور على خطى كتاب (الحرب والقرار) الذي ألفه دوغلاس فيث. المساعد السابق لرامسفيلد. والذي أشرف على العديد من الخطط الأصلية لإعادة إعمار العراق بعد الحرب. وفيه عرض حججه التي تسند افتراضه بأن وزارة الخارجية وبريمر أوقفا جهود وزارة الدفاع التي هدفت إلى التسريع في تسليم العراقيين حكم بلدهم وتشكيل جيش عراقي جديد.

لكن بريمر ذاته، وفي كتابه (عام قضيته في العراق)، اشتكى من نقص في الدعم الذي يفترض أن يقدمه كل من المسؤولين العسكريين والمدنيين أمثال سانتشيز وفيث.

ولا يغيب عن بالك كتاب (في قلب العاصفة) الذي ألفه المدير السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية جورج تينيت، أو كتاب (جندي أمريكي) للجنرال تومي فرانكس الذي أشرف على العمليات العسكرية في حرب تحرير العراق. وكل منهما قدم رؤيته الخاصة عن الأخطاء التي وقع بها الآخرون.

إن ظاهرة المذكرات التي تتصل على نحو ما بحرب العراق، أو الحرب الأوسع على الإرهاب، نمت بشكل كبير لتشكل تجارة قائمة بذاتها. وفي الكتب أمثال: (ضد كل الأعداء) لريتشارد كلارك الذي كان المستشار الأول في شؤون مكافحة الإرهاب لدى مجلس الأمن الوطني، و(الكبرياء الامبراطوري) لمايكل شيور الذي عمل محللاً في وكالة الاستخبارات الأمريكية، و(سياسة الحقيقة) للسفير السابق جو ويلسون، نجد قصصاً عمّا فعله الآخرون بمؤلفي هذه الكتب.

في هذه الحال: بأية نتيجة نخرج من كافة هذه الروايات المتناقضة؟

أولاً، جاءت هذه الروايات ضمن فترات زمنية معينة اتبعت إيقاع الحرب. فخلال الفترة (2003-2004) جاءت معظم معلوماتنا المتعلقة بالحرب عن طريق المؤتمرات الصحفية التي عقدها إدارة الرئيس بوش ووزارة الدفاع. وكان للعملية الذكية التي أسقطت صدام

الحرب على الحرب

خلال 3 أسابيع وما تلا ذلك من هدوء نسبي لعدة أشهر أثار تمثل في رأي عام موافق وبعض الأسئلة حول الأداء العسكري أو الرؤية الرسمية لما يحدث. ولكن عدم العثور على مخابىء أسلحة الدمار الشامل واندلاع التمرد أدى إلى نمو في عدد المطبوعات التي تتضمن روايات تتعلق بعجز الأمريكيين عن إدارة الصراع في العراق.

أما الآن، ومع انخفاض مستوى العنف ومباشرة المسؤولين السابقين بكتابة ردودهم الخاصة بهم، ينمو ملف جديد للدفاع عن الحرب. وكتاب فيث (الحرب والقرار) لن يمر حتما دون ردود من رامسفيلد والرئيس نفسه وربما من مسؤولين آخرين أمثال بول بريمر ونائب الرئيس ديك تشيني. وبدورهم، سيقدم أولئك المسؤولون عرضا آخر لما حدث، مما سيطلق سلسلة أخرى من الردود.

ثانيا، يمكن كسب الكثير من المال عن طريق كتابة رواية لما حدث في العراق استنادا إلى الخبرة الشخصية، وكلما كان الكتاب أكثر إثارة واتهاميا ومفشيا للأسرار، كلما كان أكثر رواجاً. (البعض، مثل فيث، قام بمبادرة كريمة وتبرع بواردات كتابه للمؤسسات الخيرية).

ثالثا، تبدو في كثير من تلك الكتب نزعة «لست أنا» التي تلقي بالمسؤولية على عاتق الغير. فالمسؤولون الذين اعتادوا على تمجيد بعضهم البعض في المؤتمرات الصحفية والتأكيد للأمريكيين على أن الأمور تجري على ما يرام، يبدو أنهم لم يكونوا يحبون بعضهم البعض.

ومن قبيل ذلك ما احتج به الجنرال سانتشيز ليثبت أنه لم يكن مسؤولا عما حدث في أبوغريب، ملقيا بالمسؤولية على عاتق رؤسائه في البنتاغون. كما يقسم جورج تينيت أنه لم يكن الوحيد الذي فشل في مخابرات ما قبل الحرب. ويركز الجنرال تومي فرانكس كلامه على ما خاضه من حرب ناجحة، دون ذكر ما قام به الآخرون من الاحتلال ومشاكله (يمكنه أن يدعي ذلك بما أنه استقال مباشرة بعد انتصار حرب الأسابيع الثلاثة). أما ريتشارد كلارك فيحتاج بأنه لم يكن قادرا على توقي هجمات 11 سبتمبر بسبب أخطاء ارتكبها آخرون.

الحرب على الحرب

وبنفس الطريقة فشلت المجموعة الخاصة لمايكل شيور في مهمتها من أجل اعتقال بن لادن بسبب أخطاء حمقاء قامت بها إدارات منافسة.

هل هذا النوع من الاتهامات ظاهرة جديدة؟ لا.

لقد استمر الجدل حول معركة شيلوه¹ لنصف قرن بعدها، ولا تزال نجعل إلى يومنا هذا أكان الجنرال غرانت سكرانا قبل المعركة، أو لماذا سلك الجنرال لو والاس الطريق الخطأ ووصل متأخرا بالتعزيزات إلى أرض المعركة. يمكنك أن تقرأ روايات مختلفة حول من يتحمل المسؤولية في مذكرات الجنرالات غرانت وشيرمان ووالاس.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، اختصم على صفحات الكتب كل من الفيلدمارشال البريطاني مونتغمري والجنرالات الأمريكيين ايزنهاور وبرادلي وباتون (بعد موتهم) حول استراتيجية ما بعد هجوم النورماندي، وحملة ارنهيم الكارثية، والمفاجأة المحضة في معركة بولغ، ولا تزال هذه المسائل دون حل بعد 60 عاما.

هل كانت حرب فيتنام أمرا ضروريا؟ وهل كانت نهايتها فشلا ذريعا لا مناص منه، أم نصرا مضيعا؟ يمكنك أن تقرأ روايات عديدة حول ما حصل في الكتب التي ألفها كيسنجر وماكنامارا والسيناتور جيم ويب والجنرال ويليام ويستمورلاند.

لكن ثمة أمر وحيد تختلف فيه حرب العراق عما سبق، وهو أنه في عصرنا الحديث، عصر الاتصالات العالمية الفورية، يسارع الناس الذين يعيشون في قلب مميزات هذا العصر إلى الحصول أولا على الرواية «الحقيقية» كحق لهم قبل أن يتقرر مصير الحرب بوقت طويل. وفي مثل هذا الصراع الذي لا يزال قائما، فإن مثل هذه المذكرات تكون على الدوام منقضية فترة الصلاحية حتى قبل أن تصل إلى المكتبات.

(1) من معارك الحرب الأهلية الأمريكية، وقعت بتاريخ 6 أبريل 1862.